محمد حديد: الصراع من أجل الديمقراطية في العراق

محمد حديد

محمد ابراهيم محمد

الكتابُ الذي نقدمه هو استعراض حقيقي لحياة وطني عراقي بلغ من رجاحة العقل وسمو الروح والخلق ومن التحلي بالصفات الوطنية الصادقة وقد أغدقت له بالفضل لخدماته في العراق والمحافل الدولية ويعد هذا الرجل المتضلع لصدور القانون رقم (٨٠) لسنة ١٩٦٠ الذي كان هو مهندسه الحقيقي وهو القانون الذي استعاد حقوق الطرق النفطية من الأراضي غير المستثمرة وتوفي في لندن وهو بعيد عن وطنه بتأريخ (٦/ آب/ ١٩٩٩) ونعته الصحف البريطانية والأمريكية ومنها نيويورك تايمز والاندبندنت، ونصوصها موجودة في هذا الكتاب.

ذلك هو محمد حديد الشخصية السياسية الوطنية التي حازت احترام العراقيين على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم وعرف بثقافته العصرية الواسعة ونزاهته المطلقة وتفكيره الهادئ العميق وكان موضع التقدير والاحترام في جميع العهود السياسية التي توالت الحكم على العراق في ظل النظامين الملكي والجمهوري سواء كان في الحكم أم المعارضة وكان تقدير نوري السعيد له. مثلاً. لا يقل عن تقدير عبدالكريم قاسم له الذي ولاه وزارة المالية في أول وزارة عراقية في العهد الجمهوري من دون ان تكون له معرفة شخصية سابقة به بل استنادا الى سمعته وكفاءته العلمية والاقتصادية.

ان هذا الكتاب الذي نستعرضه في الوقت الحاضر هو عبارة عن قدرات شخصية للرجل محمد حديد التي دوّنها قبل وفاته الذي بلغ من العمر اثنين وتسعين عاما والكتاب يقع في (٥٧٦) صفحة من القطع المتوسط وأرفق فيه المؤلف عدة تصاوير فوتوغرافية تأريخية أظهرها أول مرة لتزيد البحث توضيحا وفائدة وطبع الكتاب في بيروت وصدر عام ٢٠٠٦ وتصدر غلاف الكتاب صورة شخصية لمدوّن الذكريات محمد حديد وكتب مقدمة الكتاب المؤرخ العراقي المتضلع الأستاذ نجدة فتحي صفوت.

تتناول هذه المذكرات سيرة محمد حديد منذ ولادته في الموصل وأيام طفولته فيها ثم دراسته في مدارسها وذهابه للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت حيث بدأت علاقاته بزملاء عراقيين تلك العلاقات التي امتدت الى أواخر حياته ثم دراسته في لندن على يد أساتذته الذين استفاد منهم وتأثر بآرائهم ثم عودته الى العراق وعمله في وزارة المالية وهو مؤسس وفعال في (جماعة الأهالي) وعضو رئيس مهم في (الحزب الوطني الديمقراطي) ونائب لرئيسه عبر سنوات طوال وتوليه وزارة المالية بعد (١٤/ تموز/ ١٩٥٨) وعمله مع عبدالكريم قاسم والخلاف الذي نشب بين الزعيم عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وما يعرف عن القضية الكردية وملابساتها وتطوراتها وعلاقة مصطفى البارزاني بالحكومة العراقية بعد ١٤/ تموز/ ١٩٥٨ ثم حركة الشواف في الموصل ومحاولة اغتيال عبدالكريم قاسم وانسحاب العراق من (ميثاق بغداد) والاتفاقية الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي. وتتناول هذه المذكرات بكثير من الاسهاب دور محمد حديد في مفاوضات النفط مع الشركات الأجنبية وما بذله من جهود لاصدار القانون رقم (٨٠) الذي كان محمد حديد مهندسه وقد ضمن به مصالح العراق للمناطق غير المستثمرة وتروي تفاصيل المفاوضات وتطورها في هذا الكتاب. وتحتوي المذكرات أيضاً على فصل اضافي في تقديم عهد عبدالكريم قاسم الذي كان محمد حديد من أركانه ومن أبرز شخصياته المدنية وأكثرها تمتعا بثقة عبدالكريم قاسم واحترامه مع عرض موضوعي لأهم الجوانب السلبية والايجابية في ذلك النظام.

وأخيراً لابد من القول ان هذه المذكرات التي قدّمها لنا محمد حديد الى القارئ العراقي والعربي بأنها ستكون مصدراً ثرا جديداً لنا ولتأريخ العراق السياسي الحديث واضافة مفيدة ما صدر حتى الآن من مذكرات الساسة العراقيين تلقي أضواء جديدة ومفيدة على جوانب كثيرة من ذلك التأريخ فضلاً عن انها تعرض سيرة غنية ومشرّفة لشخصية خدمت بلادها بكل كفاءة واخلاص.

مكرمة الجنرال مود للعراقيين إلغاء ضريبة الملح !!

غدير عنبر

ارتبطت (ضريبة الملح) بذاكرة الشعوب ، شرقاً.. وغرباً ، ففي عام (١٧٦٤) غزت جيوش الامبراطورية البريطانية ، أمريكا ، بجيش يناهز خمسة عشر الف جندي.. وكان لابد لهذا العدد الهائل من نفقات فأرتات الحكومة البريطانية ، فرض ضرائب على المواطنين الامريكان وكانت احداها ضريبة (الملح) التي كانت (القشة التي قسمت ظهر البعير) إذ كانت احد العوامل التي فجرت الثورة الامريكية. ومن بين عوامل الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ فداحة الضرائب وكانت ضريبة الملح ابغض الضرائب الى نفس الشعب الفرنسي .. كانت الحكومة تحتكر محصول الملح وتحتم على كل فرد شراء كمية منه بثمن معين.. ولم تكن الحكومة الفرنسية تجبي هذه الضرائب مباشرة ، وانما تمنحها لبعض المتنفذين و(الشقاوات).. وتمنحهم الصلاحيات المطلقة التي يستغلها هؤلاء في ايذاء الفقراء والمعوزين بفرض بضاعتهم قسراً وتحصل الثمن بمختلف الطرق القسرية والمهينة.. وفي ايران كانت من بين عوامل إثارة (المشروطة) والجدل الطويل العريض .. (ضريبة الملح) ، وفي عام ١٩٣٠ بدأ المهاتما غاندي – في الهند– مسيرة الملح الشهيرة ضد القانون الذي يحتم على المواطنين شراء الملح من الحكومة ولا يبيح لهم استخراجه من البحر.. وقاد غاندي اتباعه الى البحر على بعد /٢٠٠ميل/ وذاقوا على شفاههم الملح .. وكان دماً مالحاً ايضاً ..

وكانوا ينضحون عرقاً مالحاً .. واصرارا..

وفي (حضرة) الحاكم البريطاني يقدم الشاي لغاندي فيخرج من بين (وزرته) وجلده (قعطة ملح) يضعها في استكان الشاي .. ويحد النظر في وجه الحاكم البريطاني ، وكأنه يقول :- (أنظر .. ان قضية الملح لما تنته) . وامتدت ضريبة الملح الى العراق ايام السلطة العثمانية.. وبقيت بين الذاكرة والنسيان حتى سقوط الدولة العثمانية واحتلال بغداد من قبل الانكليز في ١١ / اذار / ١٩١٧ بقيادة الجنرال مود.. وكأي سياسي وعسكري يتملق الجمهور سياسياً.. فقد اصدر بيانه (نحن جئنا محررين.. لا فاتحين) .. ومن ثم اصدر بيانه ، بعد عدة بيانات اخرى ، المتضمن ايقاف العمل بإستيفاء ضريبة الملح وفق البيان الآتي:

البيان

حيث وصل الى مسامعنا إن استمرار وضع ضريبة الملح في حيز التنفيذ في ولاية بغداد بمقتضى القانون المتعلق بها الى الان يكون في الاحوال الحاضرة ثقيلاً على اهالي الولاية المذكورة بلا مناسبة فألآن بناءً على ذلك إن الفريق ف. سي. مود . ك . سي . أم . جي . دي .اس أو.

استناداً على السلطة المخولة لي كقائد عام لجيوش صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي المحتلة من العراق بهذا أعلن وآمر بأن وضع ضريبة الملح المذكورة يوقف من اليوم الخامس عشر من شهر مايس سنة إلف وتسعمائة وسبعة عشر في كل الجزء المعروف بولاية بغداد من الاراضي المحتلة . بغداد ٢٩/نيسان/١٩١٧ .

ف.سي.مود فريق أول
قائد جيوش الاحتلال ..

بغداد تحتضن المؤتمر الطبي العربي الاول

د. حيدر حميد

دأبت الجمعية الطبية المصرية منذ عام ١٩٢٨ على عقد مؤتمر سنوي خاص تحول الى تقليد فريد على صعيد الوطن العربي ، وبموجب قرار خاص أتخذه القيمون على اعمال الجمعية ومؤتمراتها بدأت تعقد مؤتمرها السنوي مرة في مصر واخرى في احدى المدن العربية خلال عيد الاضحى المبارك إيماناً منها بضرورة توثيق عرى الاخوة بين ابناء الوطن العربي وفي عام ١٩٣٨ ابدت الجمعية رغبتها بعقد مؤتمرها السنوي العاشر في بغداد للمدة من التاسع حتى الثالث عشر من شباط ونال هذا المقترح إستحسان الجمعية الطبية العراقية واستغل الدكتور عبد المجيد القصاب المناسبة ليقدم اقتراحاً يقضي بتغيير إسم المؤتمر الى المؤتمر الطبي العربي الاول ، ولقد وقف كل من الدكتور سامي شوكت مدير الصحة عامة يومذاك ، والدكتور شوكت الزهاوي رئيس الجمعية الطبية العراقية ، الى جانب الاقتراح الذي حظي ايضاً بموافقة الجانب المصري الذي اراد مع ذلك ، الاحتفاظ بتسلسل مؤتمراتها . وهكذا تم إفتتاح اول مؤتمر طبي يحمل اسم العرب والعاشر للجمعية الطبية المصرية في بغداد يوم التاسع من شباط ١٩٣٨ ، واستمرت اعماله على مدى اربعة ايام وبحضور اربعمائة واربعة من الاطباء والشخصيات الثقافية والتربوية . بدأ حفل الافتتاح بكلمة القاها رئيس الوزراء جميل المدفعي الذي انابه الملك غازي لافتتاح المؤتمر ، ورد فيها: ولاشك ان وحدة النزعة العلمية والادبية هي ، في الوقت ذاته. تمثل وحدة الفكر العربي والرأي بينكم ، وتؤلف إمة واحدة عبثا حاولت الحدود والحجوزات ان تفرق بين قلوبهم واهدافهم .. وانشد في حفل الافتتاح الشاعر المصري الكبير علي الجارم قصيدته بغداد التي جاء في مطلعها:

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد
يابسمة لما تزل زهراء في ثغر الخلود
ياموطن الحب المقيم قد خط في لوح الوجود

وكان وقع القصيدة على الجميع كبيراً ، ولقد نشرت الصحافة المصرية نصها في نفس يوم افتتاح المؤتمر ، فيما نشرتها الصحافة العراقية في اليوم التالي.

أنيطت رئاسة المؤتمر بالدكتور علي ابراهيم رئيس الجمعية الطبية المصرية، بينما تولى الدكتور شوكت الزهاوي مهمة نائب (الرئيس) دار البحث في المؤتمر حول الموضوعات الطبية والعملية الآتية: –

١– جراحة الكبد والحويصلة الصفراوية
٢– الكوليرا
٣– الملاريا
٤– مواضيع متنوعة جراحية وباطنية ، ومن ضمنها حبة بغداد .
٥– توحيد المصطلحات الطبية في اللغة العربية .

كان للاطباء العراقيين حضور ملموس في هذا المؤتمر ، فقد القوا بحوثا تناولت اختصاصات طبية عديدة عكست خبرة واهتمام العراقيين الاوائل ، وحرصهم على شرف المهنة منهم الدكتور صائب شوكت الذي القى محاضرة بعنوان: (حصاة القناة الصفراوية) وادلى ببعض المعلومات التي حصل عليها من خلال تجاربه العملية ، وعرض ستة نماذج متنوعة فريدة في بابها ، من الحصى المستخرجة من القناة الصفراوية ، وقد تمكن استخراجها في اثناء قيامه بالعمليات الجراحية كما القى الدكتور هاشم الوتري هو الاخر من الاطباء الرواد في العراق ، محاضرة بعنوان: التهاب الكيس الصفراوي وتشخيصه ومداواته قبل تكوين الحصاة " نالت استحسان المؤتمرين.. اختتم المؤتمر جلساته في اليوم الثالث عشر من شباط ١٩٣٨ م بعد ان تناول المؤتمرون في الجلسة الختامية مواضيع عن الملاريا والكوليرا وتوحيد المصطلحات العلمية ، قد صدرت عن المؤتمر العديد من التوصيات العلمية كما اعلنت الصحافة عن ذلك من دون تفصح عن فحواها.

اضحى عقد المؤتمر الطبي العربي تقليداً سنوياً متزامناً مع المؤتمر الطبي للجمعية الطبية المصرية بفضل مبادرة الاطباء العراقيين. وانا اكتب هذا المقال تذكرت حال مؤتمرنا العلمي وما تعانيه اليوم ، من نقص واضح في المستلزمات الطبية والادوية والنظافة وتردي الخدمة الفندقية لمستشفياتنا ، فلا اعتقد اننا اليوم نملك مؤسسة صحية واحدة يمكن ان نطلق عليه مستشفى متكامل من حيث توفرخدماته الفنية والادارية او يضاهي ما موجود من مؤسسات صحية متطورة بدول الجوار كالمملكة العربية السعودية والاردن وتركيا وايران مع العلم اننا شعب كما كان يردد العراقيون في اثناء الحكم الملكي (وافر الخيرات) وتحول الطب عندنا في الاغلب الى مهنة قبل ان يكون رسالة. وعادت الينا أمراض كنا قد نسيناها كالتدرن الرئوي والكوليرا وحبة بغداد وغيرها.. ولا نعلم كيف ستشيد مؤسساتنا الصحية المزمع انشاؤها، هل ستشيد بالطابوق والسمنت وتبيض بالجص وتنثر بالسمنت الابيض لتضحى بعد عامين او ثلاثة بالية ام تشيد وفق مواصفات عمرانية حديثة منافسة لما موجود في دول العالم المتطورة لكي يبقى رونقها باقياً مع مرور الزمن ولتكن صروحاً عمرانية خالدة عافى الله الجميع.

اشـــهر ظرفـــاء بغـــداد

علي حمود

نص تقرأه فيمنحك المتعة واخر يثبط تسلسل قراءتك واخر يحفزك فيأخذك مأسوراً بغوايته لكتابة نص اخر وهذا تماماً ماحصل لي عند قراءتي نص عبد الله الغذامي "جماليات الكذب" فما ان فرغت من قراءتي الممتعة له حتى الحت علي افكار وتداعيات انبثقت تطبيقاً لنماذج من المبالغين العراقيين والبغداديين والادعاء والتكاذب.

لايعني دونية او مثلبة اخلاقية فهؤلاء يمنحون المتعة بمبالغاتهم التي يبثونها هنا وهنالك متجاوزين المعقول والمألوف فالحكايات عندهم تتجاوز الواقع الى مافوق الواقع وبذلك سبقوا "الواقعية السحرية" يشط خيالهم ويتماهون مع حكايتهم التي لاتعرف حداً ولاسداً فيطوون الحاضر الى افاق المستقبل.

يقول الغذامي "يقدم لنا الزمخشري كلمه "الكذب" وهي ذات قيمة دلالية وفنية واخلاقية غالية جداً في حين تكون كلمة الصدق اقل دلالة واضعف ذلك لان كلمة كذب ذات طاقة مرتفعة لانها تحمل القدرة على التخيل وخلق الاماني مما لايكاد يكون"

المبالغ حينما يبث حكايته لايكتفي بمتلق فرد فهذا لايلبي طموحه إنما يحتاج لجمهور فتراه يختار أماكن يجتمع الناس فيها (مقهى،اسواق، ساحات عامة مراكز شرطة.. الخ

(يتخذ ابراهيم عرب احد اكثر المبالغين طرافة في بغداد العشرينيات متخذا من صدرمقهاه مكاناً لجلوسه يقص على زبائنه مغامراته وحكاياته العجائبية وويل لمن لايصدق او يعترض او حتى يسأل بشكل موضوعي يقول عرب في واحدة من حكاياته..

البارحة ياجماعة الخير ذهبت الى بيت مسزبيل من اجل معرفة مصالح العراقيين وين صارت .. وين راحت فما إن رأتني) الحرمة) يعني مسزبيل حتى وقعت في غرامي ولا اعرف كيف اكتشفت فحولتي فراودتني عن نفسي لكنني تعففت ليس نقصاً في رجولتي لاسمح الله–فأنا عراقي ولكن خجلاً من ابو ناجي؟! فقد كان يعتقد ان (ابو ناجي) اللقب الذي اطلقه العراقيون على الانكليز..هو زوج مسزبيل

وفي حكاية اخرى يروي ابراهيم عرب لزبائنه في مقهاه الواقعة في سوق الهرج الميدان:

في احد الايام هددت الولاية (بغداد) الذيابة وطبعاً استجارت الناس "بداعيكم" فانطلقت الى مكان تجمعهاولاأعرف كيف شمت الذئاب اخباري فانهزمت –الذئاب–وبعد بحث ومطاردة أسرت ذئبين وربطتهما "على هذه القنفة" يؤشر على احدى "القنفات" وتركتهما حتى الصباح وحينما فتحت ابواب المقهى ياسبحان الله وجدت الذئبين وقد اكلا بعضهما البعض ..والمشكلة التي حيرتني وشغلت بالي يواصل عرب اي الذئبين اكل الاخراولاً.

وشخصية اخرى طريفة من شخصيات بغداد المتكاذبة هي شخصية احمد بنيه والذي كان يلبس "العرقجين" ويرمي يشماغة على كتفه باهمال وهو يمشي مسرعاً في شارع الرشيد بقلق يسلم على الناس ويسلم عليه الناس مثلما يقول البغدادي وحينما يدعوه الناس الى الجلوس يجيبهم مسرعاً "عندي شغل" وطبعاً هو لاعمل له ولاشغل لكنه شاغل الناس ونفسه بقضية وهمية ..مانحاً البغداديين متعة يومية وفرحاً وكركرات اينما حل..

المفارقة في المتكاذبين انهم لايخضعون لمنطق الحياة والاشياء العادية فعندهم يلغى المعقول واللامعقول ويتلاشى الحلم بالواقع وينتقم المتكاذب من كل المحرمات التي لايستطيع الوصول اليها..وذلك باستحضارها بالمبالغة والخيال فهذا "ابو ليلى" احد المتكاذبين المعاصرين يحكي هذه الحكاية المثيرة : في يوم وبعد ان رجعت من عملي –يعمل عامل بناء– فاستقبلتني الوالدة وهي توبخني لتاخري عن موعد الاكل –وهذا حلم افتراضي فالرجل عامل بناء ولايمتلك في بيته غير غرفة متواضعة وكل اجرته لاتوفر له اكثر من "مركة هوى" ورأس بصل يعقبها استكان شاي.فاغتسلت وفرشت والدتي السفرة(عبارةعن طبك فيه صحن فافون) وحينما مددت يدي واذا بطرقات سريعة على الباب..وحينما فتحت الباب واذا بسكرتير عدي على الباب وبعد السلام قال لي العراق وشرفه الرياضي في شواربك .. فقلت له قل ماعندك فقال لي يخصك الاستاذ بالسلام ويقول الفريق العراقي في ماليزيا قد خسر(٨ مقابل صفر) في كوالالمبور والاستاذ محرج من والده ويقول لايوجد غير ابو ليلى ينقذنا عندها قلت له لكن مواعيد الاكل وارتباطي بالعمل ..لكن قال سنعوضك عن كل شيء عندها لبست "اللابجين" وبالدشداشه كبل لماليزيا..وعندما شاهدت حال الفريق العراقي نزلت بالدشداشة و"كولين"..كولين" حتى فاز العراق بـ(١٠مقابل ٨)وكنت غير راض عن المنتخب فاردت ان القنهم درساً في كرة القدم فضربت الكرة التي انفتحت ورجعنا بنفس الطائرة الى بغداد والحقيقة لم يقصر الاستاذ ودعاني الى الاكل والمبيت في الشيراتون ..لكنني قلت له اعذرني انا لااستطيع ان اغير اكلي وعندي ارتباطات عمل فارجعني الى بيتي ووجدت والدتي على وشك ان ترفع الاكل فقلت لها تمهلي قليلاً وحينما هممت اغمس لقمتي واذا بالكرة التي ضربتها في ماليزيا قد سقطت في (المركه)

في هذه المبالغات ينفتح خيال الراوي الى مداه الاقصى فهو يلغي المتعارف حينما يقول ((وكولين..كولين))ناسياً او ربما متناسياً ان نظام كرة القدم لايسمح الابهدف واحد او حين يؤكد الارتباط بالعمل وهو اجير او بالاكل في اوقات فتكاذبه يشير الى حلم لاواع ببيت وطريقة لائقة بالحياة ناهيك عن شهرة.